مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد 7 / العـــدد: 2(عدد خاص) (2023)، ص 350-362

# الحوليات العامة بالمغرب الإسلامي

## القرنيين السابع والثامن الهجري/ الثالث عشر الرابع عشر الميلادي

## *General Yearbooks in the Islamic Maghreb*

## *The seventh and eighth centuries AH / thirteenth fourteenth century AD*


| خامد عائشة* | قريشي رفيقة |
|---|---|
| جامعة عمار ثليجي (الأغواط) | جامعة غرداية ( الجزائر) |
| khamedaicha@gmail.com | rafikakoko@gmail.com |


**تاريخ الاستلام: 2022/12/22 تاريخ القبول:2023/02/27**


- **الملخص:**

عرف الفكر التاريخي بالمغرب الإسلامي مناهج مختلفة جسدت نمو الوعي التاريخي وتوجهات اقطابه، وساهمت في نقل المعرفة التاريخية عبر قنوات مختلفة، ويعتبر المنهج الحولي من بين أهم مناهج التدوين التاريخي التي إعتمدت في بلاد المغارب نظير الخصـــوصـــيات التي يقدمها، وتبحث هذه الدراسة في أصول المنهج الحولي، وترصد أقطاب الحوليات العامة ببلاد المغرب الإسلامي، فماهي الاضافة التي قدمها المنهج الحولي والخصائص والمميزات التي انفرد بها. وقدمنا هذا الســـياق بمنهجاً تاريخي وصـــفي مقروناً بمنهج مقارن لظاهرة ميزت الكتابة التاريخية بلاد المغرب وعبرت عن شخصيتها في الفترة موضوع الدراسة .


**كلمات مفتاحية:** المنهج الحولي، الفكر التاريخي، المغرب الإسلامي، ابن القطان، ابن عذراي المراكشي.


## Abstract:

Historical thought in the Islamic Maghreb has known different approaches that embodied the growth of historical awareness and the trends of its poles, and contributed to the transfer of historical knowledge through different channels. The poles of the general yearbooks in the countries of the Islamic Maghreb monitor, what is the addition provided by the yearly curriculum and the characteristics and advantages that are unique to it. We presented this context with a descriptive historical approach coupled with a comparative approach to a phenomenon that characterized historical writing in the Maghreb and expressed its personality in the period under study.



## Keywords:

The Holly Method, Historical Thought, Islamic Maghreb, Ibn al-Qattan, Ibn Azari Marrakchi.


* خامد عائشة

- **مقدمة:**

إنّ الصياغ الذي عرفته الكتابة التاريخية في بلاد المغرب الإسلامي كان نتاج تجارب طويلة عرفت فيها المعرفة التاريخية إنتقالاً زمانياً ومكانياً بمتغيرات كانت تؤثر وتتاثر في شكل وطبيعة المعرفة التاريخية، وعمد أقطابها إلى إستحضار الحوادث وفق إملأت الظروف الداخلية والخارجية، في ظل سيروة نمو الوعي التاريخي وتنوّع مناهجه. وبهذا شكل المنهج الحولي نموذجاً من نماذج الكتابة التاريخية التي رسمت صورة المغرب الإسلامي وشخصيته في القرنين السابع والثامن الهجري. من خلال حقول التّأليف التي قدمها ضمن ما اصطلح عليه بالحوليات العامة، فما هي ملامحها في القرنين السابع والثامن الهجري.

## 1- المنهج الحولي

### 1-1- تعريف المنهج الحولي :

يستلزم بناء الحوادث التاريخية نصوصاً ومناهجاً ومقاربات علمية، تعزز شرعية الأخبار وتؤسس لها، وفي ظل ذلك كان المنهج الحولي في صـدراه الوسـائل المسـتعملة من مؤرخي البلاد الإسـلامية وما انتظم فيها من أمصـار وجماعات، عمل على حفظ الاخبار ونقلها.

فالحوليات في **اللغة**:"حال الحول أي تم وحال الشيء: أتى عليه حول أي سنة، والحول هو السنة بأسرها"، وأما **اصطلاحاً**:"هو أسلوب اتبعه مجموعة من المؤرخين في كتابة التاريخ في العالم الإسلامي في العصور الوسطى، ويقوم على أساس جمع أحداث سنة بعد الأخرى"[1]، وجاء في القرآن الكريم: قوله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ** ﴾ ،وقال أيضاً ﴿ **وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** ﴾[2].

فإن كان التاريخ مرادفاً بدراسة الماضي الإنساني، ودراسته تبحث عن فعل الانسان في الزمان والمكان، استناداً للوثائق والآثار، فتعيين التوقيت وضـبط الزمان للمادة التاريخية، أسـاس كلمة التاريخ ومنهجه، والمنهج الحولي لا يُنظّم المادة التاريخية من حيث التوقيت فحسب، بل يدقّق في ذلك، حتى بالشهر واليوم، وأجزاء اليوم حسب أهمية الأحداث التاريخية، وهذا ما يبيّن أنه منهج تنظيمي يعتني بتنظيم المادة التاريخية فقط دون التأثير في مضمونها.

"والمنهج التاريخي، جعل المادة التاريخية تندرج في نطاق المعرفة المنظمة، والمبوبة والمقننة، والهادفة إلى توخي الحقيقة على أسـاس حكم ناقد، موضـوعي لا يخضـع لأي افتراض، فالمنهج التاريخي يهتم بالجانب المضـموني، وتوخي الحقيقة، كما يدل أيضـاً على الجانب الشـكلي التنظيمي للمادة التاريخية"[3]، ومن هذا وُجب المزاوجة بين المنهجين التاريخي الذي يمس المادة ومحتواها من تحليلٍ وتفسيرٍ واستنباط، مع المنهج التنظيمي الذي يُعطي معناً وشكلاً تنظيميا للمادة، إذ يرتبها ويمنحها شكلا جديدا من أشكال الكتابة التاريخية.

والمنهج الحولي من الأساليب الشائعة في تنظيم مقررات التاريخ، ويقوم على أساس من دراسة أحداث التاريخ، حسب تسلسلها الزمني[4]، فهو التاريخ حسب السنين، يؤرخ للأحداث سنة بعد سنة، فكانت مختلف الحوادث تجمع في كل سنة، وتربط بينها كلمة "**وفيها**"، فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التي تليها، فيستخدم جملة "**ثم دخلت سنة كذا**"، أو "**ثم جاء في سنة كذا**"[5]، فهذه العبارات يشترك في استعمالها كلُّ من يؤرخ بالمنهج الحولي وتوظيفها صار أمرا شائعا، لمن يتعاطى هذا الأسلوب في الكتابة التاريخية، والمؤرخ يقرّر مدى التفاصيل في وصف الأحداث التاريخية، وقد عُرف بهذا المنهج، بعض مؤرخو التراث العام وتاريخ السير من روّاد الفكر في التاريخي الإسلامي

على أن طريقة تدوين الأحداث منظمة سنة بعد سنة، أصيلة في أدب التاريخ العربي الإسلامي، ولعل الطبري، هو أول من هذبها، لإبرازها على شكل حوليات وبذلك نسبت إليه، ويمكن القول أنه سنَّها لمن بعده[6]، لكن الأراء تتضارب حول جذور هذا المنهج وأسبقية ظهوره ومن الذي استحدثه ؟.

### 1-2- رواد المنهج الحولي

اختلف المؤرخون في أسبقية استعمال المنهج الحولي في الكتابات التاريخية الإسلامية وغير الإسلامية أيضا، وراح كلّ طرف في مساره الخاص محاولا إثبات الحقيقة، ومحاولته الرّجوع بجذور المنهج الحولي الى ما يراه أصح .

وطريقة تدوين الأحداث منظمة سنة بعد سنة، أصيلة في أدب التاريخ العربي الإسلامي، ولعل الطبري، هو أول من هذبها، لإبرازها على شكل حوليات وبذلك نسبت إليه، ويمكن القول أنه سنَّها لمن بعده[7]، لكن الأراء تتضارب حول جذور هذا المنهج و أسبقية ظهوره ؟.

إن الطبري هو أول من وصل كتابه ممنهج حوليا لكنّه لم يكن أوّل من طبّق الصورة الحولية ، فقد استعملها قبله مؤرخون مسلمون مثل: أبو عيسى بن المنجم الذي كتب كتابه "**تاريخ سنى العالم**"، وهو مفقود، لكن من خلال عنوانه يمكن فهْم أن حوادثه مرتبة حسب السنين، ومحمد بن يزداد، له كتاب في هذا، وقد أكمله ابنه عبد الله إلى سنة(**300هـ/912م**) وهو ما يدل على أنه مرتب على السنين، لكنه مفقود، كذلك الهيثم بن عدي (**ت203هـ/818م**) له كتاب عنوانه"**كتاب التاريخ على السنين**"، وهو مفقود، ومن عنوانه يتَّضح أنه مرتب على السنين، ولجعفر بن محمد الأزهر صاحب التآليف(**ت279هـ/892م**)، له كتاب في التاريخ مرتب على السنين [8]،كذلك عبد الله بن أحمد بن بكر (**ت130هـ/748م**)، وموسى بن عقبه (**ت141هـ/758م**)، والواقدي (**ت207 هـ /822م**)، وعماره بن وسمة المصري (**ت289هـ/902م**)، أما خليفة بن خياط الليثي العصفري (**ت240هـ/858م**)، فجاء تاريخه ايضا مرتباً حسب السنين بالطريقة الحولية، وكان مثالاً احتذاه الطبري وأخذ عنه الكثير[9].

على أن البعض يذهب بجذور المنهج الحوليات الى السريان المسيحيين، و نصوص الاغريق، وانتقلت بعد ذلك للمسلمين على ما يراه المستشرق الألماني فرانز روزنثال-**Fraz Rosenthal**- [10]. ويذكر فضل الطبري في أولوية وصول كتابه الممنهج حولياً، لكن ينفي أن يكون أوّل من استخدمها، ومرجع شكه ناجم عن حجم كتاب الطبري، ويورد مجموعة ممن سبق الطبري من المسلمين، لكنها كتب ضائعة أمثال أبي عيسى منجم "**تاريخ سنى العالم**"، والهيثم بن عدي "**التاريخ على السنين**"، وآخرين، ورغم أن المنهج الحولي ظهر في العراق، إلا أن روزنثال ينفي أصلها الإسلامي، ويورد مجموعة احتمالات عن اقتباس العرب لهذه الصورة الحولية، من الكتب الأجنبية ويؤكد فضل السريان والإغريق على المسلمين في هذه الفكرة، ويبرِّر ذلك باحتكاك العرب بالأجانب، خاصة في الأندلس الشام، كما يورد مجموعة كتب إغريقية يقول أن العرب اقتبسوا منها، دون تأكّده من حمْلها الصورة الحولية، وكان يذكر كتباً وصلت للمسلمين لكنها متأخرة عن زمن ظهور الصورة الحولية لديهم[(11)]، ويبقى كلامه مجرد افتراضات فلا دليل له ملموس ولا إثبات منطقي.

بينما ينفي المستشرق مارغوليث **–Margolioth–**، التأثر الإغريقي ويورد احتمال إفادتهم من المؤرخين الفرس، أما المؤرخ بكل **–Buchele–** يذكر أن ذلك العمل أي النموذج الحولي،لم يحدث في أوربا قبل سنة1597م[12].فهو بهذا ينفي جذوره الإغريقية والأوربية بالعامة.

ويذهب الأستاذ أحمد الترحيني بعد تتبعه للدلائل فيقول:"وتبقى هذه الدلائل غير مؤكدة، فلا يوجد دليل واضح ولا تسريح ظاهر"[13] . وتنفي السيدة إسماعيل كاشف وبعض الباحثين العرب، أن يكون العرب قد أخذوا من الإغريق هذه الطريقة، ويمكن أنهم تأثروا بكتب التاريخ الفارسي، لكثرة ما نقل من كتب الفرس إلى العربية.

وهناك من يذهب بأنّ المسلمين هم من استحدث المنهج الحولي، وأن الكتابات التاريخية الإسلامية، لم تتأثر بشكل من أشكال الكتابات الأجنبية، سواء فيما يخص المنهج أو ترتيب المادة التاريخية[14]، وأن ضبط الأخبار بالسنين والشهور والأيام، ضابط انفرد به العرب عن نظائرهم من اليونان والرومان، وأوربا العصور الوسطى، كما يُظهر المؤرخ الإنجليزي بكل- **Buchele –** [15]،وذلك منذ إدخال التوقيت الهجري، وأنهم توصلوا بصورة مستقلة إلى الاستنتاج، أن صورة التاريخ على السنين هي الوسيلة الملائمة للغرض التاريخي، وأنّ المسلمين هم بُناة المنهج العلمي لمباحث التاريخ، وهم رُواده الأوائل، حيث توضَّحت لهم فكرة الزمان والمكان، فصنّفوا العصور، وعنوا بتوقيت الواقعة التاريخية بالأيام والشهور والسنين، وهو ما لم تعرفه أوربا قبل القرن السادس عشر للميلاد[16]، وكل ذلك جاء نتيجة لما تعلموه من القرآن في تنظيم مظاهر العبادة والتدقيق فيها كالصلاة والصيام والزكاة، والحج وغيرها

مجمل القول أن المنهج الحولي فيما بدا لي من أقوال المؤرخين والباحثين هو إبداع إسلامي، فلم يأخذ المسلمون المنهج الحولي عن الإغريق كما ذكر بعض المستشرقين، ذلك أنّهم لم يأخذو المعلومة التاريخية المتأتات معه،كما سبق وذكرت، فلو أخذوا الصورة الحولية لأخذوها بمعلوماتها ولوجاء القسم غير الإسلامي في

كتاباتهم ممنهجا حوليا، إذ أن مؤرخي ذلك العصر ينقلون المعلومة كما هي دون حرج، فما المانع من فعلهم ذلك، بل إنّ المستشرق بكل– **Buchele** صرّح بكل وضوح أن أوربا لم تعرف المنهج الحولي قبل سنة **1597**م.

فهل اقتبسه العرب عن الفرس هذا ما لم تثبته المصادر والدراسات التي بين أيدي الباحثين لذلك أميل بأن المنهج الحولي منهج إسلامي يتناسب والعقلية العربية في الرواية ويتطابق والفلسفة الإسلامية في سرد الأحداث وضبطها.

## 2– الحوليات العامة في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجري

انتقل الفكر الحولي بالشخصية العلمية التي أسس لها الطبري ومسكويه وابن الاثير وغيرهم من أقطاب المدرسة المشرقية، وانتقل الى بلاد المغرب بخصوصية أهلها، فساهم بتدوين الأخبار ورسم المعالم وفق مناهج تصورات أعلامه. وشكل مظهراً من مظاهر التاريخ لبلاد المغرب الإسلامي في مختلف الجوانب السياسية والعسكرية، الاقتصادية والثقافية والحركة الاجتماعية .

### 2–1– ابن القطان أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المتوفي (628هـ/1131م)

- **التعريف بالمؤلف:**

هو أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الفاسي، و قيل أبو علي، مؤرخ أصيل قرطبة وسكن المغرب[11]، تُقدّر سنة ميلاده بحدود سنة(**580هـ/1184م**) ذلك استنادا لتاريخه لدراهماً كانت قد ضربت أيام عبد الملك بن مروان حيث كان أبو محمد في اشبيلية سنة(**608هـ/1211م**) ،[17] إضافة لما ذكره المقري عن أنّ أبي بكر يحي بن عبد الجليل بن مجبر الفهري الشاعر، يروي أبياتا في وصف ابن أبي الحسن بن قطان وهذا الشاعر متوفى سنة(**588هـ/1192م**)، وأبياته أشبه بمن تقال في صبي في نحو الثامنة من عمره[18]، ومن هنا عرف صاحب كتاب نظم الجمان وتبيّن أنه ابن القطان الابن المولود في حدود سنة(**580هـ/1190م**)، عاش في أسرة ميسورة الحال قريب من دواليب السلطة راضعا حليب الولاء لها مما يمكّنه من القرب من مصادر رسمية و توظيفها في كتابه، وأثّر في نظرته العصبية الواضحة فيه.

عاش ابن قطان في كنف البلاط الموحدي مع أبيه أبو الحسن ابن قطان، هذا الذي كان مقربا أشد التقرب من خلفائها[19]، وقد عايش عصر الموحدين بازدهار العلوم العقلية والنقلية به وازدهار حركة التدوين والتآليف والمناظرات، ومجالس الفحول كلها عوامل ساهمت في بناء شخصية ابن القطان، كما عايش عشرةً من حكّام الدولة الموحدية[20] وهي مرحلة هامة شكلت جوهر كتابه فيما يخص أخبار المغرب الموحدي.

---

[1] أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي : **الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة**،القسم الأول،تح، محمد بن شريفة، السفر الثامن، مطبوعات أكاديمية، المملكة المغربية 1984، ص 138.

- **مؤلفاته** لإبن القطان تأليف عديدة منها :كتاب"**شفاء الغلل في أخبار الأنبياء و الرسل**" ،"**الأحكام لبيان آياته عليه السلام** "، "**المناجاة**"، "**الموسوعات** " لكن هذه الكتب مفقودة، إضافة لوضعه عناوين كثيرة لكتب والده أبو الحسن ابن القطان ورسائله[21]. أما ما يهمنا فهو **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان** .

- **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان** .

يعتبر " نظم الجمان " من أمهات المصادر التاريخية حول المغرب و الأندلس، ويمكن القول أنّه تاريخ شامل لبلاد المغرب بمعناها الواسع من حدودها الغربية لمصر حتى الأندلس، فتعرّض لأخبار جغرافية وتاريخية لبلاد المغرب منذ الفتح العربي لها، وحتى عصره أي على مدارسته قرون، كما تضمن أيضا أخباراً على المشرق خاصة عن مصر وأخبار الخلفاء الفاطميين بها ألّفه صاحبه أساسا للخليفة الموحدي المرتضي كما بقية كتبه ، وهو تاريخ مفصّل لبلاد المغرب من حدودها مع مصر شرقا إلى الأندلس متضمنا فصولا جغرافية، ووصفًا لمدن المغرب، إضافة إلى أخبار تاريخية عن بلاد المغرب، وحتى مصر و الخلفاء الفاطميين بها، فبدأ كلامه منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وحتى عصره، أي على مدارسته قرون، لكن الكتاب لم يصل كله، وما وصلنا ما هو إلا جزء منه، الذي غطى سنوات من(500- 533 هـ/1106- 1138م) [223]،إذ يتألّف نظم الجمان من سبعة أجزاء والقطعة التي نشرها محمود مكي رقم13 من الكتاب، وهي الجزء السادسفهذه القطعة الباقية من هذا المصنف، ليست إلاّ جزءاً صغيرا من هذا المؤلَّف الضخم في تاريخ المغرب والأندلس، رغم أوراقها ناقصة.

- **منهج الكتاب:**

يتصنَّف كتاب نظم الجمان لابن القطان من كتب التاريخ العام، انتهج فيه صاحبه المنهج الحولي أي تقسيم الأحداث حسب السنين، وبدأ حولياته منذ القرن الأول إلى السادس الهجري والقطعة الموجودة خصّها للمائة السادسة كما ذكر وحافظ فيها على مكانة الحَول من الترتيب رغم تفاوت حجم الحوليات.

تتبّع ابن القطان المنهج الحولي في كتابه، وبدأ حولياته منذ القرن الأول إلى السادس الهجري والقطعة الموجودة خصّها للمائة السادسة كما ذكرتُ وحافظ فيها على مكانة الحَول من الترتيب رغم تفاوت حجم الحوليات.

كان يبدأ أحاديثه عند دخول كلّ سنة جديدة، بلفظه :" ذِكر سنة كذا "، و" ذكر أنباء سنة كذا "، أو " ذكر أخبار سنة .." واستعمل لفظا غير متداول عند كتّاب المنهج الحولي وهو باب " باب أخبار سنة كذا .." .الخ ، ويفهم من هذا أنّ معلوماته وافرة حتى يُخصِّص له باباً، لكن أَجِد أنّ الحول المُعنوَن بهذا لا يتجاوز سطرين لماذا أو بالأحرى أين باقي المعلومات هل هذا الجزء به أوراق عديدة ساقطة..أو أنّ الكِتاب مَرّ على أيدٍ تلاعبت به؟ في حين أن باب سنة ست عشرة وخمسمائة جُعل تحته ثلاثة عناوين:"إبتداء إعلام الإمام المعصوم المهدي..ثم مقدمة لأيامه العظيمة.. ثم نسبه"[23]، ليبدأ بالاسترسال في الكلام وتأتي عناوين أخرى في هذا الحول بَعْدُ. فلابدّ أن يكون هذا عن قصد.

" لكن عيب هذا المنهج التأريخي أنّه يمزّق سياق الحادثة التاريخية الطويلة، التي تتواصل و تمتد عدد من السنين، فلا يذكر منها المؤرخ إلاّ ما يخصّ تلك السنة، وبقية الحادثة تأتي متفرقة"[24] . لذلك جعلها الكاتب تحت عناوين لكن السنين كانت متتالية ولم يقطع الخبر بخبر آخر وخصّه بعنوان له فقط دون أن يُهمل تتبُّع السنين.

حافظ المؤلف على تتبّع السنين، وكان يذكر في كل حول من توفى فيه من المعروفين أولا ثم يعرّج إلى سرد الأحداث ويُنهي بمن كان في تلك السنة من الحكّام العباسيين ومن على افريقية أو مصر، أي لمن يؤول الحكم وقتها[25]، واهتمامه بهذا يبيّن أنه، مهتم بأيالة الحكم لمن ولعله يربط الأحداث ومسارها بالحكّام ويفسّر لنا عدم تأريخه لحكّام دولته والأحداث في عهدهم رُغْم مقدرته على ذلك.

كما انتهج طريقة ذكرِ الخبر في بداية الحول ثم يعود للتفصيل، وكان يذكر في بعض السنوات أخبار الموحدين باختصار، ثم أخبار غيرهم[26].

كان المؤرخ لا يتردد في إبداء عدمَ معرفته للخبر إذا لزم ذلك مثل ذكره عدم إدراك ما كان في سنة(531هـ/1137م)، من غزوات الموحدين، وذكره عدم معرفته من يتولى العراق في حديثه عن أخبارها[27]، مايفسّر عدم التوازن بين الحوليات من حيث حجم المادة الخبرية من حول لآخر، فعدم توفُر المعلومات حائل لتوازن الحوليات ويعود ذلك ربما لعدم وجود أخبار مهمة، أو أنه لا يذكر كل الأخبار إلا ما يراه ضروريا، أو ما يتعلق بالموحدين ويخدم مذهبهم.

وليس هذا السبب الوحيد فالمؤلِّف يسكت عن قصد في ذكر ذلك وإلا لماذا يتوقّف بأحداثه عند سنة 533هـ وهو على مقدرة لإعطاء المزيد، كان على قدرة للتدريس والعطاء والعامل الجسدي ليس حائلا أيضا، بل إنه لا يؤرّخ للدولة الموحدية أصلا إلا بداياتها، وتفسيره أنه لم يكن قادرا على التأريخ لها لِجُور حُكّامها ولسكوته عن أعمالهم وخوفه منهم أو لأنه إنسان نزيه لا يُؤرّخ بمعلومات كذب إذ نجده يتكلّم أحيانا عن قسوة الموحدين ويعترف أحيانا للمرابطين، ولعدم مقدرته عن قول الحقّ فضّل عدم الكلام أصلا، أو لتعصبه وسكوته عن الحق، وهو الأقرب ذلك لأنه رضع حليبها وتربّى تحت جناحها ونشأ مع والده الذي أفدى فِكره وجسده لها.

فنجد حولياته تتفاوت فيما بينها فكانت بعض السنوات خالية من الأحداث،كسنة (509هـ/1115م)، يكتفي بذكر اسم الغزوة التي جرت فيها دون إيراد الأحداث، ويذكر من كان أميرا على افريقية فقط[28]، لكن من ناحية أخرى وبنظرةٍ ايجابية فهو يحرص على ذِكر الحول، وتتبُّعِ أحداثه حتى وإن لم يذكرها فإنّه يحافظ على مكانها من الحول.

وربما يقع المؤرّخ في الخلط بين سنوات وقوع الأحداث حسب تصويبات المحقق، فمثلا خروج عبد المؤمن بن علي إلى مدينة سلا، يذكر المؤلف أنه سنة(530هـ/م1136) بينما يذكر المحقق أن المصادر تتفق على سنة(509هـ/1115م)[29]، ويُحيل إلى ابن خلدون وابن أبي الزرع والسلاوي، وعند الرجوع إليهم نجد أنّ هؤلاء يختلفون فيما بينهم .

وباستثناء ابن أبي الزرع الذي يقول بخروج عبد المؤمن ابن علي إلى سلا، أخذاً عن ابن مطروح القيسي سنة(526هـ/1132م)، في 24 ذي الحجة وليس ربيع الأول ولا شوال كما يذكر المحقق[30]، وليس السلاوي من أخذ عن القيسي حسب ذكر المحقق، فإنّ السلاوي نجده يقول أن الحملة كانت سنة(545هـ/1150م)، خلافا لقول محمود علي مكي محقق كتاب نظم الجمان[31].

**2 –2– ابن عذاري أبو العباس المراكشي**

ابن عذارى المراكشي، مؤرّخ مخضرم عاصر نهاية الدولة الموحدية وبداية الدولة المرينية، ولم يتعصّب لإحداها، ولم يكن قريبا من دواليب السلطة ولا متأثّراً بها عكس ابن القطان، وهو ما يُضفي على كتابه موضوعية ومصداقية .

**-التعريف بالمؤلف :**

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي[32]، وقيل هو أبو عبد الله محمد بن عذاري حسب بعض المصادر[33]، "ولقبه ابن عذاري نسبة إلى عذار ويمكن أن يكون جده"[34]. وقد ذكر بعض المؤرخين أنّه أندلسي الأصل من أهل مراكش[35].

توفي ابن عذارى بعد سنة(**712هـ/1314م**)[36] وقيل توفي في حوالي سنة(**706هـ/1307م**) [37]، وهذا الاحتمال الأبعد حيث يذكر أنّه ألّف كتابه سنة (**712هـ/1314م**)[38]، والاحتمال الأبعد ما ذكره إسماعيل باشا البغدادي أنه توفي سنة (**695هـ/1299م**) [39].

عاش ابن عذاري زمن الموحدين[40]، كما أنه عاصر انهيارها، وقيام دولة بني مرين (**668– 875هـ/ 1268–1470م**)، وعاصر الإشعاع الحضاري وازدهار الحياة الفكرية والعلمية

**– مؤلفاته**

لابن عذاري كتاب بعنوان تاريخ المشرق، أشار فيه لكتاب أخبار المغرب[41]، وأسماه " البيان المشرق في أخبار المشرق "وهو من المصنفات الضائعة، [42] " الي جانب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب

**-البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**

وهو كتاب تاريخي عام يشمل المغرب و الأندلس من الفتح الإسلامي حتى بداية عصر المرينين أواخر القرن السادس الهجري[43]، "فإنّ مادة ابن عذاري في تفصيلاتها وعمقها لا تغيب عنها المادة التاريخية فكان ابن عذاري طويل النفس، وتتبع ما نشأ بالمغرب من نحل وتجمعات مذهبية وقبلية، ومراكز حضرية وتطلعات لتأسيس الإمارات والدويلات في جنوب البلاد وشمالها "[44]

وإضافة للأحداث التاريخية تضمن كتاب البيان أخبار اقتصادية واجتماعية، وعلاقة الحكام بالرعية، وأسلوب الحكم، كما تضمن تسجيلات للآفات الطبيعية، وما تعلق بالنشاط الاقتصادي في شكل حوليات سنوية: كحدوث السكة، وضرب الدنانير والدراهم بنقش الإسلام وإيراده لما دفعه موسى بن نصير للوليد بن عبد الملك من الدّر والياقوت والتيجان والذهب والفضة فأطلعنا عما كان موجود من معادن وقتها قحط الأندلس و مجاعتها وانتشار الجراد فيها، وعن الظواهر الطبيعية مثل؛ كسوف الشمس يذكره بالساعة، إضافة لذكره أقوالا وأشعارا طريفة حول الأحداث بأسلوب سلس ولغة بسيطة وتعابير سهلة

**- أهمية الكتاب :**

يعتبر كتاب البيان المغرب من أهمّ مصادر الفتح العربي لبلاد المغرب و الأندلس في العصر الإسلامي[45]، فيعتبر من المصادر الأولية، والمراجع الأساسية لبلاد المغرب والأندلس في الفترة الإسلامية من الفتح الإسلامي، وحتى ظهور دولة المرينين، وذلك لتضمنه أخبارا كثيرة وروايات نادرة ومعلومات غنية عن أوضاع بلاد المغرب و الأندلس تتصل بالحياة السياسية والعسكرية و الأوضاع الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية[46]، وكل من يريد تتبُّع مسار الدول القائمة ببلاد المغرب منذ القرن الثاني حتى القرن السابع للهجرى.

"فهو يعد من أكمل المصادر وأشملها وأدقها في تاريخ بلاد المغرب"[47]، فإنّ مادة ابن عذاري التي يقدمها تفوق كلّ ما كتب بعده من التواريخ المغربية و الأندلسية، سواء من حيث الوفرة أو التنوع أو الرجوع إلى كتب التاريخ التي سبقته، كذلك لاعتماده أصول مفقودة لا يمكن العثور عليها إلاّ عنده[48]،"كما اعتمد روايات معاصرة للأحداث، ورسائل رسمية لاسيما الموحدية منها وانفرد بتوضيح بعض النقاط المهمة مثل اهتمام الحكام الموحدين بمدينة فاس والإقامة فيها في كثير من الأحيان، واستقبال سفرائهم بها"[49]، إضافة إلى التنوع من حيث التركيب و المنهجية فنوَّعَ مصادره ومشاربه مما أثّر على تنوع مادته وحسن أسلوبه وممازجة مناهجه فخلطها وقدّمها في قالب جميل متناسق وبلمسة جديدة وموثوقة.

إذ يعد كتاب البيان المغرب من المصادر الأساسية، و الموثوق بها في حقل الدراسات التاريخية لبلاد المغرب [50]، فابن عذاري يحسن اختيار أخباره في مظانها، الأمر الذي جعل بيانه وثيقة تاريخية لا يستغنى مؤرخ المغرب عنها وبالرغم أنّ مشروع البيان يقصد منه الإيجاز مثلما يشير كاتبه في بداية كتابه، والمؤلف جمع نبذه ومعلوماته من الكتب الجليلة، كما يذكر[51]، وما زاد أهمية الكتاب البيان المغرب وضع مؤلفه لخطط تأليفي قبل أن يشرع في مضمونه ويُوضح خطة كتابة وتقسيماته، وذكره في التقديم لمجموعة ممن اعتمد عليهم وكأنه يريد من القارئ أخذ فكرةً عن الكتاب من خلال ذلك قبل الشروع في التفاصيل.

- **المنهج الحولي في الكتاب**

انتهج ابن عذارى أسلوب الحوليات في كتابه أي ترتيب الأحداث حسب السنين، مبتدئا بسنة 21 هـ السنة التي افتتح فيها عمر بن العاص الإسكندرية وتتطلع ورنا ببصره نحو بلاد المغرب، يُكمِل أخبارها ويفصّل متتبعا إياها دولة فدولة وكلّ دولة يتتبع أخبارها سنة فسنة فجاءت حولياته في أكثر من سبعة قرون أي لأكثر من720حول.

وأخباره التي يوردها بأسلوب حولي كانت موجزة يبدؤها بكلمة" وفي سنة .. "، وذلك حتى العهد الفاطمي وحتى الصنهاجي[52]، وصولا إلى عهدي المرابطين والموحدين، لكنّه طوّر من هذا الأسلوب ليجعله ملائما للتدوين، فمزجه بأسلوبي الرواية أي اختصار الأخبار، وروايتها كحادثة واحدة متصلة بغض النظر عن السنين التي وقعت فيها مثل حديثه عن خبر برغواطة، وأسلوب الكتابة عن تاريخ المدن بشكل منفصل، وهنا تختلط المعلومات التاريخية بالجغرافية ،عندما يتحدث عن مدينة تيهرت على سبيل المثال وطنجة[53]، فهنا لا نجده ملتزما في ذكر كلّ الحوليات ويفضّل عدم تجزأت الحادثة بينها لأن لا يُمزّقها السياق مستفيدا في هذا بما ذكره المؤرّخ ابن الأثير واستعمله، والذين عملوا بهذا من بعده.

فنجده عندما تتوفر له معلومات كثيرة حول موضوع ما، فإنّه يطيل في سردها أو حتى يعنون بعض التفاصيل التي يراها مهمة، وإذا لم تتوفر له أو يقصد إيجازها فأنها تأتي قصيرة جدا، فجاءت حولياته متفاوتة من حيث الحجم.

جاء أسلوب كتابته عن تاريخ المدن بشكل منفصل، تختلط المعلومات التاريخية فيه بالجغرافية وهذه الطريقة قد خدمت ابن عذاري، وذلك حينما لا يكون متأكدا من السنين فيختصر الأحداث ويرويها كحادثة واحدة محافظا على سياق متكامل[54].

3- الخاتمة

أثّرَ الأسـلوب الحولي بشـكل كبير على المحتويات التاريخية، رغم أنه أسـلوب لعرض المادة التاريخية فقط، بحيث يضـمن استمرارية الظاهرة وتنسيق المواد المتنوعة،كما سهَّل على الدارس الوصـول إلى أوثق الأخبار التاريخية، بحيث يعتبر استمراراً لما قبله وتكملةً له، فيهتم بمحض طبيعته بالحقائق المجردة، دون تأويل أو اعتراض نظري أو عملي. ويمكن أن هذا ما يُفسّـر غياب عنصر النقد لرواد المنهج الحولي في الأوّل قبل أن يستوعب من بعدهم تتبع الأحداث ونقدها وعدم الاكتفاء بسردها منظمةً لأن لا تنحط كتاباتهم وينحطّ هذا المنهج.كما يكشف لنا نوعية المواضيع السائدة في تلك العصور الوسطى، فنجد مثلاً، أن كتب التاريخ المؤلفة في العصـور الوسـطى، تعتني بالأحوال السـياسـية، والدينية، بحيث نجدها قليلة العناية بدراسـة المجتمع والنظم، وتسيير الأداة الحكومية، والمرافق العامة والنواحي الاقتصادية

- يعتبر المنهج الحولي طريقة قديمة وشائعة لدى المؤرخين المسلمين ، تعطي صورة لأحداث ووقائع في مجالات جغرافية واسعة يجمعها المجال الزمني وهو سنة وقوعها، لكن عيبه تمزيق سياق الحادثة فتشتت أفكار المطلع عليها كما تُفقد الحدث حرارة التواصل في سرد الأحداث، وقداختلف الباحثون عرب ومستشرقون في هوية المنهج الحولي وأصوله، لكنهم لم يتسلّحوا بدلائل ملموسة وقطعية للوصول إلى نتائج قطعية، ومّما يزيد الأمر تعقيدا أنّ هذا المنهج شكلي يمكن اقتباسه من مجرد الإطلاع عليه، لكن يمكننا أن نستنتج من أنّ المسلمين لم يقتبسوا هذا المنهج من الغرب لأنهم لو فعلوا لاقتبسوا معه المادة التاريخية وبتنظيمها دون حرجٍ، لأنه في مستوى المناهج العلمية آنذاك يجوز ذلك، ويمكن أنهم أخذوه عن الفرس، لكنه يبقى في النهاية إسلامياً.

- عرفت الكتابة التاريخية المغربية المنهج الحولي في القرن السابع الهجري مع مؤرخي الدولة الموحدية وهما ابن القطان وابن عذارى، وذلك لتماشي هذا المنهج مع التاريخ العام، وقد عاشت بلاد المغرب التعددية المذهبية وقيام عِدة دول كلّ منها يسعى لإثبات شرعيته، وكل واحدة تسعى لإلغاء الأخرى، وجاءت الدولة الموحدية محاولةً أن تجمع بلاد المغرب كاملة موحدة، وقد فعلت ذلك مع رقعة شاسعة من بلاد المغرب، ربما هذا ما جعل المؤرّخ يشعر بوجود تاريخ متواصل يخصّ جميع هذه المنطقة ووجود تاريخ عامٍ يخصها، فلم تنتشر ببلاد المغرب قبل هذا، وقد تحاشى مؤرخوها التعامل بها، وتفسير ذلك أنّ من خصائص هذا المنهج أنّه يُفقد الحدث حرارة التواصل، فتُفقده حماسته، وهو مالا يتماشى مع العصبية المذهبية السائدة بالمنطقة، فيتوجهون إلى طرق ومناهج تبرز عنونة الموضوع ، وكلّها طرق تُبرز الحدث ورجالاته وتعطيه حماسةً أكثر، فيعد كلُ من أبو محمد الحسن بن القطان وأبو العباس أحمد بن عذارى المراكشي، النموذج الحولي .لأدب حوليات التاريخ في الكتابات التاريخية المغربية ،

## - 4- الهوامش

([1]) علي حسن بكر:**الطبري ومنهجه في التاريخ**، دار غريب، القاهرة،2004، ص ص 87-89.

([2]) سورة البقرة: الآيات 233 و 240.

([3])سعيدوني ناصر الدين: أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000.، ص11.

([4]) العلالي صالح:**كيف نفهم التاريخ**، منشورات الأنيس للطباعة والنشر والإعلام والتوزيع، ط 1 ،الجزائر، 2004،ص6.

([5] )السيد عبد العزيز سالم: **التاريخ والمؤرخون العرب**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006، ص82.

([6]) أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ابن قنفد القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**،تق و تح، محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر،تونس، 1968، م م،ص7.

([7]) أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ابن قنفد القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**،تق و تح، محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر،تونس، 1968، م م،ص7.

([8]) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون، ص ص87-88.

([9])حسن عاصي: أعلام مؤرخي العرب والإسلام، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1413هـ/1992.، ص ص 33-32.

([10]) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون، ص ص 88-89.

([11])روزنثال فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي ، مؤسسة الرسالة، د.ب.ن، ط2، 1983 ، ص ص 102-115 .

([12])علي حسن بكر: المرجع السابق ، ص ص 95.94.وانظر أيضاً: هرنشو: علم التاريخ، تر عبد الحميد العبادي، الفصل الرابع (إلمامة بالتاريخ والتأريخ) من تأليف المترجم، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان،ط2، 1982، ص45.

([13])ترحيني محمد أحمد: المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ط.، ص139.

([14])قويدر بشار: بغداد مدينة السلام ، مطبعة دحلب، الجزائر،1993.، ص100.

([15]) هرنشو: المرجع السابق، ص45.

([16])خضر عبد العليم عبد الرحمن: المسلمون وكتابة التاريخ، (دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ)، المعهد العاملي للفكر الإسلامي ،ط2، د.ب.ن،1995.، ص206.

([17]) عبد الواحد ذنون طه: **تراجم مشرقية ومغربية**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت،2009،ص187.

([18]) أحمد المقري: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تح إحسان عباس، 8 ج دار صادر، بيروت، 1988،ج4، ص161. وانظر ذنون طه: تراجم، م م ص 28 .

([19])ابن القطان: **نظم الجمان في ترتيب ما سلف من أخبار الزمان** ، تح محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1990، ، م م ص 28

([20])يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1199م) محمد الناصر (595-610هـ/1199-1213م)، يوسف المنتصر (610-620هـ/1213-1224) عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن(620-621هـ/1223-1225م)، عبد الله العادل بن منصور(621-624هـ/1224-1227م)، يحي المعتصم ابن الناصر (624-627هـ/ 1227-1230م)، عبد الواحد الرشيد (630-640هـ/ 1232-1242م)، عليا السعيد (640 -646هـ/ 1242 -1248م)، و عصر المرتضي (646-665هـ/1248-1266م)

([21]) ابن قطان : المصدر السابق، م م، ص 32.

( [22])ابن القطان، المصدر السابق، ص 120

([23]) نفسه:ص ص87 وما بعدها.

([24]) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون، ص 83.

([25]) ابن قطان: مصدر سابق، ص ص 73-79، 145،157

([26]) ابن قطان: مصدر سابق،ص ص ، 222،226،234،250.

([27]) نفسه، ص ص 221، 251.

([28]) نفسه،ص 76.

([29]) ابن قطان: مصدر سابق، ص250.

(30) ابن أبي الزرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ،دار منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 187.

(31) أحمد بن خالد الناصري السلاوي: **استقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب ،الدار البيضاء،1955. ج2، ص 106

([32]) سعيدوني: **من التراث التاريخي و الجغرافي للمغرب الإسلامي**،دار المغرب الإسلامي،بيروت،ط1،1999،ص135 وأنظرعبد الواحد طه ذنون:**دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي**،دار المدار الإسلامي،ليبيا،2004،ص 294

([33]) اسماعيل باشا بن محمد لمين بن ميرسليم الباباني اليغدادي: **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون**،تح:رفعت بيلكة الكليستي،دار إحياء التراث العربي،بيروت،د ت ط.ص 207.وأنظرأيضا سعيدوني : المرجع السابق ص 135 .

([34]) سعد زغلول عبد الحميد : **تاريخ المغرب العربي ( الفاطميون، بني زيري، الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)**،مطبعة أطلس، القاهرة،1990،ج2 ص 39 .

([35])عبد الله يسري عبد الغني: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991 م .

،ص 121 .

([36]) بشار قويدر:**دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب والمشرق**، ج6، دار الهدى، عين مليلة، 2011 ص 165 .

([37]) سعيدوني: من التراث، ص 135.

([38])عمارة علاوة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

، ص 168.

([39]) اسماعيل باشا البغدادي :المصدر السابق،ص207.

([40]) عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط**، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، 2006، ص 100

([41]) يسري عبد الغني: المرجع السابق، ص 121 .

([42]) سعيدوني: من التراث ،ص 135 .

([43]) بشار قويدر: **دراسات و أبحاث في تاريخ المغرب والمشرق التاريخ الإسلامي**،ج 6، دار الهدى، عين مليلة، 2011، ص 165 .

([44])زمامة عبد القادر : مؤرخ المغرب و الأندلس ابن عذاري المراكشي ، مجلة آفاق الثقافة و التراث ، السنة الخامسة ، العدد 17 محرم 1418 هـ/ ماي 1997. ، ص 115 .

([45]) عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص 100 .

([46]) سعيدوني: من التراث ،ص 136 .

([47]) إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية (160–296هـ / 777– 909 م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية**، ط 3 مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر 2010، ص 56 .

([48])ذنون عبد الواحد طه: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت ، 2004 .،ص 296 .

([49])طه جمال أحمد: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، 448.668هـ/1056.1269م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2001.، ص24.

([50]) بشار قويدر: دراسات، ص من 165 و 167 .

([51])ابن عذارى: المصدر السابق ،ج1، ص 2وما بعدها .

([52]) سعيدوني : من التراث، ص من 137، 138 .

([53]) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص25،225وما بعد.

([54])طه ذنون : دراسات، ص من 297، 298 .